بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة لابد منها :

كم من مرة طلب إلىّ – قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ وبعدها – أن أكتب سيرة حياتى ومذكراتى وخصوصا عن الجهاز السرى بمصر . . وكان ردى على الطالبين فى كل مرة أن الظرف المناسب للكتابة لم يحن بعد وأن الكتابة وحدها قد لا تأتى بالثمرة المرجوة . وإنى أفضل – لو أمكن – العمل من جديد على تكوين نواة جديدة صالحة من الفدائيين ممن لا غنى للوطن عنهم فى كل عصر . . مع علمى التام بثقل المهمة الخطيرة بل صعوبتها لما تتطلبه من جهد مرير ووقت طويل فما أشق البناء من الهدم .

إلى أن نشرت مجلة المصور فى أبريل ١٩٧٢ بعضاً من مذكرات الحاج أحمد رمضان زيان عضو جمعية التضامن الأخوى السرية بالإسكندرية بعنوان مذكرات شيخ الفدائيين المصريين ، وكنت وقتئذ أستشفى بحمامات حلوان الكبريتية ولفت نظرى إلى ما كتب صديقى الأستاذ عبد المنعم خلاف وكان هو أيضاً يستشفى بالحمامات .

واطلعت على ما نشر تباعا فى خمسة أعداد من المجلة ولاحظت – بادئ ذى بدىء – أن الحاج أحمد وإن كان أشار – ويكاد يكون بالتفصيل – إلى ما جرى على يد شعبة الجمعية بالإسكندرية إلا أنه – ولعل له عذرا فى ذلك – لم يذكر ما قامت به غيرها من شعب الجمعية فى القاهرة مما ظلت حقيقته خافية على الناس نظراً لطبيعة السرية التامة التى يلتزم بها نظام ذلك النوع من أجهزة النضال . وكان الأستاذ الدكتور محمد أنيس أستاذ التاريخ الحديث بجامعة القاهرة قد طلب إلى أخى أحمد على الأستاذ بكلية التربية أن يهىء له فرصة يجتمع فيها بنا ليستفسر عن بعض ما غمض عليه وهو يقرأ محاضر التحقيق فى قضايا الاغتيال السياسية ، وما قرأه فى أول كتاب للثورة بقلم الرئيس أنور السادات .

ثم تكرر الطلب بعد أن اطلع على وثائق فى وزارة الخارجية البريطانية تشير إلى تقارير مرسلة من ممثليها فى مصر تتحدث عن خطورتى عليهم وأننى وراء كل حوادث الاغتيالات .

ولم تسمح الظروف باللقاء المرتقب إلى أن أنشئ مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر بوزارة الثقافة وتولاه الدكتور محمد أنيس تنظيماً وترتيباً ثم بحثاً وتنقيباً .

وبعث إلى بأحد تلاميذه الممتازين ممن اختارهم للعمل بالمركز وهو الأستاذ محمود زهدى فأخذ منى حديثا مبدئياً . ولما اطلع عليه زملاؤه بالمركز رغبوا مشكورين فى أن أجتمع بهم . وكان لقاء سعدت فيه بجمع كبير من أساتذة التاريخ الحديث بكل جامعات مصر الذين كان ينظمهم اجتماع كل أربعاء مع الباحثين بالمركز لمتابعة خطواتهم .

وأقف عند هذا اللقاء الذى استمر ثلاث ساعات يسألوننى فى دقة وضبط وسعة اطلاع وحسن استماع متوخين الوصول إلى الحق المجرد عن الهوى .

إذ شرح صدرى كل ذلك وجعلنى أوافق على رغبتهم فى أن أكتب بنفسى تاريخ حياتى ليحفظ فى سجلاتهم وآخذ نسخة مما يكتب منها على الآلة الكاتبة . وبدأت الكتابة أولا بأول فى كراسات بلغت اثنتى عشرة كراسة بذل الأستاذ زهدى جهداً ملموساً فى متابعتها مشكوراً والسعى فى لقاء من يرد ذكره فيها من الأحياء تثبيتاً لما كتب .

ثم أعير الأستاذ الدكتور أنيس للعراق ، وتولى الإشراف الدكتور عبد الخالق لاشين مدرس التاريخ الحديث بجامعة عين شمس واستمر يشرفنى بمنزلى مرة أسبوعيا عدة شهور لمست فيها دقته المتناهية وأفقه الواسع وطموحه وروحه المخلصة الصادقة فى خدمة العلم والمعرفة .

وفى تلك الأثناء نشرت بعض الصحف والمجلات للسادة وجيه أباظة والمستشار محمد عبد الرحمن والدكتور عز الدين فهمى بعض ما يعلمونه عن التنظيم السرى مما كان خافياً على الناس ، وهنا رؤا – إبرازاً للحق الذى أعلمه – إخراج مذكراتى فى كتاب من جزء ين ينتهى أولهما عند ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ويبدأ الثانى بعدها .

ولا تسعفنى الكلمات بشكر هؤلاء الأساتذة الذين جهدوا وصبروا فى خدمة الحق والتاريخ . . وفقنى الله وإياهم .

* * *

ميلادى ولمحة عن والدىّ :

ولدت يوم ١٨ يناير ١٨٩٥ بحارة الهدارة قرب سراى على باشا شريف قسم عابدين بالقاهرة من أبوين صالحين كريمين . وكان والدى المرحوم الشيخ على أحمد عبد الله من علماء الأزهر الشريف وخطيباً وإمامًا لمسجد الشامية بشارع الدواوين أمام وزارة الداخلية . وكان رحمه الله جريئاً فى الحق فلم يعبأ أيام الحرب الكبرى ١٩١٤ بالرقابة المفروضة على الصحافة والمطبوعات والاجتماعات وتحدى سيف الأحكام العرفية المسلط على الرقاب وكان لا يفتأ ينتقد بشدة فى خطبة الجمعة أوامر القيادة العسكرية

البريطانية فى تكميم الأفواه وإذلال النفوس واستعباد الناس والاستئثار بخيرات البلاد ، ولم يزحزحه عن موقفه استدعاؤه إلى وزارة الداخلية غير مرة بناء على بلاغات المخبرين للتحقيق معه بسبب خطبه الملتهبة ؟ ولم يكن جوابه كل مرة إلا أن قال إنه لم يفعل أكثر من تأدية واجبه ، فهو يدعو الناس فى خطبة الجمعة بما يدعو له الإسلام من الكفر بالطاغوت والإيمان بالله والتخلق بخلق القرآن والتأدب بآداب الإسلام والاعتصام بالصبر على البلاء والعمل على تغيير ما بأنفسهم ليكشف الله عنهم ما هم فيه من ضر ويرفع عنهم ما نزل بهم من غمة ويبدل حالهم من الذلة والضيق والاستعباد إلى العزة والسعة والاستقلال . ثم يختم جوابه بأنه لا يطلب من ذوى السلطة أكثر من ألا يحملوا عباراته فوق ما تطيق وأن يتقوا الله فيما يدبره الماكرون ، وبذلك الإيمان يخرج من الموقف كل مرة مرفوع الرأس لا يمسه سوء ويحفظ البلاغ ، ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب . وضرب لى بموقفه هذا البطولى أروع الأمثال وكان لى نعم القدوة .

واختاره البرنس حسين كامل – لما اشتهر به من تقوى وورع وصلاح – ليكون خوجة أفندى (مدرساً) للأميرات كاظمة وسميحة وقدرية بنات البرنس يعلمهن الدين واللغة العربية ويؤدبهن بآداب الإسلام .

وكانت والدتى المرحومة آمنة بنت يوسف حسن الطويل من بلدة دلاص مركز بوش بمديرية بنى سويف تقية صالحة زانها الله بجمال الخلقة ونبل الخلق ، فكان جو البيت الذى نشأت فيه إسلامياً قولا وعملا .

إخوتى :

وأنجب الوالدان ستة ذكور هم : إبراهيم وعبد العزيز ومحمود وأحمد ومحمد وعبد الرحمن ، وفتاتين : فاطمة وأمينة ، ومات كل من إبراهيم (الأول) وعبد الرحمن (الأخير) فى سن الطفولة وتزوجت فاطمة من ابن عمتها وماتت فى سن الخامسة والأربعين . وتزوجت أمينة من ابن خالها ومازالت على قيد الحياة أطال الله بقاءها – وتزوج كل الذكور وأنجبوا أولاداً .